وهل الإيمان إلا الحب ؟

(١٥)

حب مكة المكرمة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي

للطباعة والنشر والتوزيع

www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا

ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy

وَوَصلَ الوَفْدُ إلى البلَدِ ، بَعْدَ رِحْلةٍ طَويلَةٍ وَرَائِعةٍ ، لَقدْ زَارُوا الأمَاكِنَ المُقَدَّسَةَ فِي مَكَّة المُكرَّمَة ، وَفِي المَدِينَةِ المُنَورةِ ، وَما إلى هُنَالِكَ. وَذَهَبَ كُلُّ وَاحدٍ منَ الطُّلاَّبِ ، المُتَفوِّقِينَ إلى بَيتهِ ، وَوَعدُوا الأَساتِذَةَ وَالمَشَايخَ أَن يَعودُوا إلى المَسْجد لِيلْتقي مَعَهُم أَصْدِقَاؤُهُم وَيُحدِّثُوهُم عَمَّا رَأَوا هُنَاكَ وشاهَدُوا.

وَبِالفِعلِ اكتَظَّ المَسجِدُ بالمصلِّين وخاصَّةً طُلاَّب مَعْهدِ تَحفِيظِ كِتَابِ اللهِ تَعالَى ، وتقدَّمهُم الشَّيخُ (يَحْيى) فَصَلّى بِهم إِمَاماً ، ثُمَّ قَرؤوا الأَذْكَارَ وَدَعَوا اللهَ وَأدَّوا سُنَّة صَلاةِ المَغْربِ.

وَبعدهَا وَقَفَ الأُستاذُ (زَينُ العَابِدين)

واتَّجَه إلى الحُضُورِ وَقَالَ: فِي هَذهِ اللَّيلةِ المُبَارَكةِ ـ لَيلة الجُمُعةِ ـ نلتقِي مَعَكُم لِنتَدارسَ فِي مَسْأَلةٍ تهمُّ كُلّ مُسْلمٍ ، أَلاَ وَهيَ حُبُّ مكَّةَ المكرَّمة ، وحبُّ كُلّ مَا لهُ عَلاقَةٌ بِهَا ، وَأرجُو مِنْ كُلٍّ من يَعلمُ مَعلومَةً أَو قصَّةً عَن هذهِ المَسْأَلة أَن يُشَاركَنَا فِيهَا...

مَاذَا يَقُولُ القُرآنُ الكَرِيمُ

ثُمَّ قَالَ الأُستاذُ (زَينُ العَابِدين):

وَقَدْ ذَكَر القُرآنُ الكَرِيمُ شَيئاً من فَضَائل مَكَّة المكرَّمَة ، ومَنزلتَها بينَ سَائِرِ البِلاَدِ ، مِن ذَلِكَ قَوله تَعالَى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧].

وَمِن ذَلكَ دُعَاءُ الخَليلِ إبراهِيم لمكَّةَ وَأهْلِها ، يَقولُ اللهُ تَعالَى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وَيُبيِّنُ اللهُ تَعالى مَكَانَةَ البَيْتِ الحَرَام ، فَيقُولُ فِي القُرآنِ الكَريم:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥].

ثُمَّ يُبيِّنُ اللهُ تَعالَى حُرمَةَ مكَّة المُكَرَّمة ، فيقصُّ علينَا قِصَّةَ إبرَاهيمَ عَليهِ السَّلامُ وَهوَ يَبْني البَيتَ الحَرَام معَ ابنهِ إسْمَاعيل ، فيَقولُ تَعالَى في الحِكَايَةِ:

﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ [النمل: ٩١].

وَبالتَّالِي يُقرِّرُ اللهُ تَعالَى أَنَّ بَعضَ الأَماكنِ في مكَّة المُكَرَّمَة هِيَ مِن عَلاماتِ وَشَعَائِرِ اللهِ تَعالَى ، فَيقُولُ عزَّ وجلَّ:

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

ثُمَّ يُطَمْئِنُّ القُرآنُ الكَرِيمُ المُسْلِمينَ بِتَأكيدِهِ عَلى قَضِيَّةٍ مُهِمَّةٍ وَهيَ: أن لا تَخافُوا من الصَّحراءِ التي تُحِيطُ بِمكَّة المُكرَّمَة ، فَاللهُ الرَّازِقُ هُوَ الذي أَمَرَ أَنْ تُحمَلُ الخَيراتُ والثَّمَراتُ و... إِليهَا ، وَذلِكَ فَضْلٌ مِنهُ وَإِكْرامٌ لِزوَّارِ بَيتِهِ الحَرَامِ ، فالنَّاسُ في البَيتِ الحَرَامِ ضُيوفُ الرَّحمن ، وَهلْ هُناكَ أَكرمُ مِنَ اللهِ سُبحانَهُ وَتَعالَى؟ مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَولهُ تَعَالَى:

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[القصص: ٥٧].

فَهَذِهِ بَعضُ المَواطِنِ التي أَوْرَدَ القُرآنُ الكَرِيمُ فِيها ذِكر مكَّةَ المكرَّمةِ وَفَضَائِلَهَا.

مَكَّةُ المُكَرَّمَة فِي أَحادِيثِ الرَّسولِ ﷺ

فَقَالَ الشَّيخُ (يَحيى): وَأَنَا سَأَرْوي لَكُم بَعضَ الأَحَاديثِ النَّبويَّة التي تحدَّثَتْ عَن مكَّةَ المُكرَّمَة وَمَا فِيهَا..

فِي مُوَطَّأ الإمَامِ مَالكٍ قَول رَسولِ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ مُهَاجِراً مِن مكَّةَ إلى المَدِينَةِ: « وَاللهِ، إنَّكِ أَحبّ بِلاَدِ اللهِ إليَّ وَإنَّكِ أَحبّ أَرضِ اللهِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وإنَّكِ خَيرُ بُقْعَةٍ عَلى وَجْهِ

الأَرْضِ وَأحبُّها إلى اللهِ تَعالَى ، ولولاَ أنَّ أَهْلكِ أخرجُونِي مِنكِ مَا خَرَجتُ».

وَفِي صَحيح البُخاريِّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «خَيرُ بَلدَةٍ عَلى وَجهِ الأَرْضِ وَأَحبّها إلى اللهِ تَعالَى مَكَّة».

وَفِي سُنَنِ ابنِ مَاجَهْ أَنَّ الرَّسولَ ﷺ قال: «ما عَلى الأَرضِ بَلدَةٌ وَفَدَ لَهَا جَمِيعُ النَّبيِّين والمَلائِكَة والمُرْسَلِين أَجْمَعين وصَالحِ عِبَادِ اللهِ مِنْ أَهلِ السَّمواتِ والأَرْضِ والجِنِّ إلاَّ مَكَّة».

وَفِي صَحيحِ البُخَاري وَمُسْلمٍ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا أعلمُ بلدةً يَحْشُرُ اللهُ تَعالَى مِنهَا يَوم القِيَامَةِ مِن الأنبياءِ والأَصْفِياءِ والأَنْقِياءِ والأَبْرارِ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ ، وَالعُلمَاءِ والفُقَهَاءِ والحُكَمَاءِ والزُّهَّادِ والعُبَّادِ

والنُّسَّاكِ، والأَخيارِ والأَحبارِ من الرِّجالِ والنِّساءِ مَا يحشرُ اللهُ تعالَى مِن مكَّة ، وَإنَّهم يُحْشَرونَ وَهم آمِنونَ مِن عَذَابِ اللهِ تَعالَى».

وَفِي صَحيحِ البُخَارِيِّ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: وَمَا عَلى وَجهِ الأَرضِ بُقْعَةٌ يَنزلهَا كُلّ يَومٍ مِن عِندِ اللهِ عِشرُونَ وَمِئةُ رَحْمَةً ، ستُّون للطَّائفينَ وأربعونَ لِلمصلِّين وعشْرُونَ للنَّاظِرينَ إلى الكَعْبةِ إلاَّ مكَّة ، والنَّظَرُ إلى الكَعْبَةِ عِبَادَةٌ».

فِي صَحيح مُسْلمٍ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثَلاَثةِ مَسَاجدَ ، مَسْجِدي هَذا ، والمَسْجِدِ الحَرامِ ، والمَسْجِدِ الأَقْصَى».

وَفِي تَفْسِيرِ قَولهِ تَعالَى:

﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٧].

أَيْ مِنَ النَّار ، يَروي البُخَاريُّ والتِّرْمِذيُّ وَالبَيهقيُّ وَغيرهُم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «وَما عَلى وَجْهِ الأَرضِ بَلدةٌ يُستجَابُ فِيها الدُّعاءُ فِي خَمْسَة عَشر مَوْضِعاً إلاَّ مَكَّة ، أوّلها: جَوف الكَعْبةِ.. الدُّعاءُ بهِ مُسْتَجابٌ ، والدُّعاءُ عندَ الحَجَرِ مُسْتجَابٌ ، والدُّعاءُ خلفَ المَقامِ مُستَجَابٌ ، والدُّعاءُ فِي المُلْتَزمِ مُسْتجَابٌ ، والدُّعاءُ عِندَ بئرِ زَمْزَمَ مُسْتَجَابٌ ، والدُّعاءُ على المَرْوَةِ مُسْتَجَابٌ ، والدُّعاءُ بمنىً مُسْتجَابٌ ، والدُّعاءُ بينَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ مُسْتجَابٌ ، والدُّعاءُ بينَ الرُّكنِ والمَقَامِ مُسْتَجَابٌ ، والدُّعَاءُ بِعَرَفَات مُسْتَجَابٌ ، والدُّعاءُ في المَشْعَرِ الحَرَامِ مُسْتَجَابٌ».

وَفِي مُوَطَّأ الإمَامِ مَالكٍ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «صَلاةٌ فِي مَسْجِدي هَذا بِألفِ صَلاةٍ فِيمَا سَواهُ

إلاَّ المَسجدَ الحَرَام فإنَّ الصَّلاةَ فِيهِ بمئةِ أَلفِ صَلاَةٍ».

وَيشجِّعُ الرَّسولُ ﷺ عَلى الإقَامَةِ بمكَّة المكرَّمَة، وَعَلَى فِعلِ الخَيراتِ وإقامِ الصَّلواتِ وفيها. والأَفْضَل أَن يكونَ ذَلِكَ في مكَّةَ، من ذلكَ قولُه صَلواتُ اللهِ عَليهِ: «مَن صَامَ شَهرَ رَمضانَ بمكَّة كَتَبَ اللهُ تَعالَى لهُ مِئةَ أَلف شَهرٍ فِي غَيرهَا مِن البُلدانِ» وَقولهُ صَلواتُ اللهِ عَليهِ: «مَنْ مَاتَ حَاجّاً أَو مُعْتَمِراً لمْ يعرضْ وَلمْ يُحَاسبْ، وَقيلَ لهُ ادخُلِ الجنَّةَ بِسَلامٍ مَعَ الآمنين».

وَقولهُ أَيْضاً: «مَن مَرِضَ بمكَّة يَوماً كَتبَ اللهُ لهُ منَ العَمَلِ الصَّالحِ الذي كانَ يَعملُ في غَيرهَا عِبَادةَ سِتِّين سَنَة».

وَقولهُ أَيضاً: «النَّظَرُ إلى الكَعْبَةِ عِبَادَةٌ وأَمانٌ مِنَ النِّفاقِ» وَقولهُ: «مَا عَلى الأَرضِ بُقْعَةٌ يُوجدُ فِيهَا الطَّوافُ والحَجُّ وَالعُمرَةُ إلاَّ بمكَّةَ، وَالنَّظرُ في بِئْرِ زَمْزَمَ عِبادَة»، وَقولهُ صَلواتُ اللهِ عَليهِ: «الحَجَرُ الأَسودُ يدُ اللهِ تَعالَى فِي أَرضهِ يُصَافِحُ بهَا مَنْ يَشاءُ مِن عِبَادِهِ» وَقولهُ أَيضاً: «مَنِ استَطاعَ أَن يموتَ فِي أَحدِ الحَرَمينِ فَلْيَمُتْ فَإنِّي أَوَّلُ مَن أَشْفَعُ لهُ، وَكَانَ يَوم القِيَامَةِ آمناً مِن عَذابِ اللهِ تَعالَى، لاَ حِسَابَ عَليهِ وَلاَ عَذابَ».

فَلِمَاذَا نُحبُّ مكَّة المُكرَّمَة؟

وَقَالَ الشَّابُّ الذَّكيُّ (حُسَين): إذاً نُحبُّ مَكَّةَ المُكَرَّمةَ لأَسبابٍ عَدِيدةٍ، منهَا:

١ ـ لأنَّها بَيتُ اللهِ الحَرامِ: مِصْدَاقُ ذلكَ قَولُه تَعالَى عَلى لِسانِ خَليلِ الرَّحمنِ عليهِ السَّلامُ:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾

[إبراهيم: ٣٧].

وَأكدَّ ذلكَ الرَّسولُ ﷺ فِيمَا وَردَ في صَحيحِ البُخَارِيِّ: «هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَهُ اللهُ يَومَ خَلَقَ السَّموات وَالأَرْض ، وَهوَ حَرامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إلى يَوم القِيَامَةِ ، وإنَّه لمْ يَحلّ القِتَالُ فِيهِ لأَحدٍ قَبْلِي ، وَلمْ يحلّ لي إلاَّ سَاعةً مِنْ نَهَارٍ».

٢ ـ وَقَالَ الشَّابُّ المُتَفوِّقُ فِي الدِّراسَةِ (مُهْتدي): وَأيضاً نُحبُّ مَكَّةَ لأنَّ اللهَ يُدافِعُ عنهَا ، فَفِيهَا بَيْتُهُ الحَرامُ ، وقصَّةُ أَصحَاب

الفِيلِ أَشهَر مِنْ نَارٍ عَلى عَلَمٍ!!

٣ ـ وَدَمَعَتْ عَينَا الشَّيخِ (مُصْطَفَى) وَهوَ يتذكَّرُ الأَماكِنَ المُقَدَّسةَ التي زَارُوهَا مُنذُ أيَّامٍ، ثُمَّ قَالَ: وَنحبُّ مكَّةَ المُكَرَّمَةَ لما فِيهَا منَ المُقَدَّساتِ، مِثل: البَيتِ الحَرَامِ، وَمَقَامِ إبراهيم، والحَجَرِ الأَسْوَدِ، وعَرَفَة، والصَّفَا والمَرْوَة، وزَمْزَمَ...

٤ ـ وقَالَ الشَّابُّ (مُعْتَزٌّ): وَنُحِبُّ مكَّة لأنَّها تُذكِّرنَا بِذكرَياتٍ جَمِيلةٍ وَمؤثِّرَةٍ:

فَعِندمَا تَرَى زَمْزَمَ تَطوفُ بِكَ الذِّكرياتُ.. وتتذكَّرُ وتتساءلُ كيفَ تَرَكَتْ (هَاجَرُ) رَضِيعَهَا وَرَاحَتْ تبحثُ عن مَاءٍ لتشرَبَهُ.. وَكيفَ فَجَّر اللهُ بينَ أَصَابعهُ هَذا المَاءَ العَذْبَ.. وَعِندمَا تَقِفُ أَمامَ الكَعْبةِ تَتَذكَّرُ الرَّسولَ ﷺ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَهوَ يُخَاطِبُ مَن عذَّبُوهُ وطَردُوهُ و...:

«مَا تَظنُّونَ أنِّي فَاعِلٌ بِكُم؟».

وَعِندَمَا تَطوفُ في أزقَّةِ مكَّةَ تتذكَّرُ مُعانَاةَ الرَّعيلِ الأَوَّلِ: هَا هُنا عُذِّبتْ سُمَيَّة ، وَهَا هُنَا عُذِّبَ بِلالٌ.. وَهَا هُنَا و...!!

وَعندَمَا تَصعدُ عَرَفَةَ تَتَذكَّرُ خُطْبَةَ رَسولِ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ ، وَذلكَ فِي حجَّةِ الوَدَاعِ.

وَعندَمَا تَنظرُ إلى المُصلِّينَ فِي المَسْجِدِ الحَرامِ ، والكلُّ قَدِ اتَّجهَ إلى الكَعْبةِ ؛ تَتَذكَّرُ إخوتكَ المُسْلِمينَ فِي كلِّ أرجاءِ المَعْمُورَةِ ، وَقدِ اتَّجهُوا إلى الكَعْبَةِ ، فَتحسُّ بِأَحاسيسِهم وَتتحرَّكُ مَشَاعِركَ نَحوَهُم..

وَوَقفَ الشَّيخُ (مُصْطَفَى) ليتكلَّمَ بالنَّاسِ ، لكنَّ البُكاءَ غَلبهُ عِندمَا ذَكَر أنَّ أهلَ مكَّةَ هُم أَهْلُ اللهِ تَعالَى ، فَأجهشَ الشَّيخُ بالبُكَاءِ.. وَبكَى معهُ

جَميعُ مَن فِي المَسْجِدِ ، وَخَاصَّةً الوَفْدُ الذي زَارَ مَكَّـةَ المُكـرَّمَـةَ والمَـدِينَـةَ المُنَـوَّرة ، وَأُجِّلـتِ الجلسَةُ إلى يَومِ غَدٍ...

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِين..